يا سمينا

أحمد نبيه عبد التواب

دار الكنزي للنشر والتوزيع

دار الكنزي للنشر والتوزيع

المدير العام

محمد صلاح

إشراف عام

إيناس الدسوقي

الطبعة الأولى

الكتاب : ياسمينا

تأليف : أحمد نبيه عبد التواب

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : حازم سامي عيسى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ١٦٢٢٩ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : 3 - 41 - 6599 - 977 - 978

All Rights Reserved

Alkanzy for Publishing and Distribution

+01003897918

Alkanzy.co@gmail.com

Facebook.com/Alkanzy.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى روح جَدِّى الطاهرة النقية السابحة فى الملكوت الإلهى،

ترعى ظلنا الهائم بلا وجهة أو سبيل.

قبل أن ينتهى ديسمبر

مقدمة

إن هـذا العمـل الأدبـى الـذى بـين يديـك هـو خـروج عـن الروتـين الممـل بعـض الـشيء، وهـذا مـا يجعلـه متواجـدا فى بـؤرة الإبـداع، وقـد كُتـب فى ظـروف صعبـة، ولذلـك فأنـا لسـت مسـئولا عـن أى إصابـات نفسـية وأعـراض يشـعر بهـا القـارئ مـن تلـك الروايـة.

وجـب الذكـر فى أن الأحـداث الـواردة بالروايـة ليسـت حقيقيـة، وإنـما تتـماس معهـا، هـو تخاطـر ليـس بأكثـر، وكـذا أسـماء الشـخصيات المقتبسـة مـن واقعـى المحيـط بي، و كل مـا سـيذكر فيـما يـلى هـو مـن خيـالي.

كـن دائـما عـلى يقـين تـام يصحبـك فى أحـداث الروايـة، أن الكاتـب مهـووس، وإن شـئت فقـل مجنـون، ولكنـه لا يريـد قـط أن يتلاعـب بمشـاعرك أو بأعصابـك، اسـتقبل مـا يحـدث عـلى محمـل الكوميديـا لا بأكثـر، كـى تسـتمتع أكثـر فى قراءتـك هـذا العمـل الـذى قـد صنـع خصيصـا مـن أجلـك، أنـت أيهـا الراغـب فى اللعـب مـع المؤلفـين، وكـن عـلى يقـين آخـر أن جميـع تنبؤاتـك سـتحدث كـما رسـمتها فى مخيلتـك، ولكننـى أصدقـك القـول إنـك سـتفاجأ بهـذه التوقعـات أنهـا سـترمى بـك إلى بحـر الظلـمات، كـى لا أطيـل عليـك وأسـتمر فى هـذا الهـراء الـذى لا فائـدة ولا جـدوى منـه، أنصحـك بـأن تلقـى تلـك الروايـة مـن بـين يديـك الآن لأنـك حتـما سـوف تصـاب بتشـتت عقـلى قـد يصـل إلى مـرض الفصـام، وهـو مـرض نفسـى شـهير أعراضـه التضـاد فى التفكـير أو مـا أطلـق عليـه ازدواجيـة الفكـر، فكـن مغامـرا بقـدر كافٍ وأنـت تقرأهـا، أو عـد إلى الجملـة السـابقة ولا تفعـل وجهـز لديـك المـاء والـزاد ومشروبـك المفضـل بجانبـك كـى يكـون الجنـون عـلى أكمـل وجـه ممكـن أن يفعـل.

مساء الخير أو صباح الخير لا يهم.

المؤلف

أحمد نبيه عبد النواب

الفصل الأول

«ربما ضاقت الأرض بأحلامنا، وربما ضاقت قلوب الناس بنا، فلنحلق فوق الأرض وفوق الناس قليلا لننظر، هـــل افتقدنا أحدٌ أم اســـتراحت الأرض لفراقنا».

المهندس: عبد الرحمن سليمان

«لفحة من الهواء البارد قليلا على غير عادة أغسطس، تقتلع تلك اللفحة القلق من قلب مالك - شخص شغوف بمعرفة ما لم يعرف - عيناه مبللتان بالدموع، خفقات قلبه ودقاته متزايدة كأنه يتعقب سيرة أحد، ولكن الحق أن هناك فكرا مزمنا يطارده كأشباح الظلام.

حالة من السكون التام فى غرفة مليئة بالصور الغامضة المُعلقة على جدرانها، وهو واقف على شيء من الخوف؛ إذ هو نفسه لا يدرك أية حالة هو عليها. حتى يكسر هذا الصمت العميق قرع الباب، وكأن مطرقة من الحديد قد هوت على رأسه فجعلته مُرتبكا فى سيره بخطوات بطيئة مترددة بين الإقبال والإدبار، حتى يصل إلى المقبض فيمسكه ببطء ويداه المرتجفة من شدة الفزع تكاد أن تتحطم كجزيئات الزجاج وهى تمسك المقبض حتى استقر أن يميل ذاك اللعين، فتحه فلم يجد أحدا خلفه فيحيد بالنظر فى كل نحو بالمكان فلا يجد شيئا، غير أن الشمس فى آخر ملمح للغروب وعلى ضوء القمر المتصاعد باستحياء الممتزج بهذا الشعاع المترائى من الشمس تلمع عينان على مستوى منخفض من الأرض وتختفى فجأة.

إنها ليست المرة الأولى التى تحدث فيها تلك الصرعة، فهو ليس لديه علم بهذا القرع، يكاد الفزع أن يتمكن فى السيطرة عليه، عيناه تجولان فى المكان كأنها تبحث عن شخص أو شيء يجيبه عن كل هذه التساؤلات، ولم يحدث له ذلك، ولكنه يدرك أن لا أحد جواره، حتى الغرفة التى تسكن فيه

لا تجيبه على شاكلة الجدران التى طالما حدثته عن المستقبل تلك التى بها شقوق بعدد ساعات عمره المتجاوز الثلاثين.

لا يسكن نظراته الحائرة إلا وقوع عينيه على صورتها، تلك التى قد استقرت بقلبه دون حتى أن يعرف اسمها، فلقد رآها أكثر من مرة فى مكان ما كان يجمعهما معا، ولكن دون اختلاط بينهما، قد عشق صوتها الذى أحسه شجىً، فأخذ يتأمل ابتسامة صورتها التى قد رسمها بيده وهو غير متقن للرسم، ولكن على الرغم من كل هذا، فهذه الصورة التى اعتادت على تجهيز الردود له، لم تعطه إجابات تلك المرة، لأنه أصلا لم يسأل عن شىء.

حالة الخمول التى ألفها، أو الأدق هى التى ألفته، بالتراخى المعتاد بعض الشيء قد آنسته وأصبحت رفيقته لزمن لا يقدره ولا يذكره، ولعل ما يمسه من شعور لا يفسر إن كان فزعا أم فرحا، حينما تأتى فى مخيلته فتقتل جميع وسائل الإدراك، إنها خمره التى تسكره لدرجة لا توصف، ولقد صيغت بعقله كما يصاغ الماس، وها هو من جديد يثبت لنا أنه متقلب الفكر، ينهض من فراشه إلى مكتبه ويسجل تلك اللحظة المُقرر فيها خوض مغامرة لقياها. لا مزيد عنده من الوقت، حتما سيصل.

لم تزل أفكاره مضطربة حائرة فى أمر حياته السابقة التى لم يتذكر منها سوى عدة مقتطفات غير متصلة، ولا هو راغب فى وصلها، وكأن هودج أفكاره قد أخرج له من جعبة ذكرياته تلك التى لا يرجع إلا لها. صورة أبيه الراسخة فى ذهنه وابتسامة أمه التى لم تفارقه ووجه حبيبته، حتى تصطدم تلك السفينة الحاملة لعمره الماضى بجبل «اللاوعى»، حينما يريد معرفة من هو،

ومـن أيـن جـاء، فقـد أطلـق عـلى نفـس مالـك لأنـه مالـك أمـره.

كل هـذا يـدور فى رأسـه وهـو يـردد بصوت عـالٍ «مـن أنـا»، ولعل مـا أسـكته هـو قـرع البـاب مـن جديـد القاطـع حبـل أفـكاره بسـيف الفـزع. يذهـب إليـه هـذه المـرة وكأنـه سـيأخذ مـن البـاب ثـأره بـكل لحظـة اسـترهب فيهـا النظـر إليـه، فيفتـح البـاب ولا يجـد أحـدا أيضا.

«يا لها من حيرة! هل ذهبت الشمس»؟

قالهـا فى اسـتغراب شـديد قاصـدا بهـا تهدئـة تلـك الخفقـات المتصاعـدة مـن قلبـه، فيخـرج متحسسـا لأمـره هـذا فـإذا بالهـواء يغلـق بـاب غرفتـه مـن ورائـه.

«الحق، قد ذهب العقل».

قادتـه بعـض أصـوات تُظهـر الألم إلى النـزول مـن عـلى سُـلمه فيُوقـف مـن إثـر مـا رآه أمامـه، وجـه شـاحب اللـون.. إنه «يوسـف»، هـذا الـذى لا يريـد إخبـاره عـن حقيقتـه فيُنبئـه بأنـه كان شـاعرا لـه جمهـور عظيـم، ولكـن قـد اندثـر ذلـك الجمهـور لأنـه لم ينتـج سـوى ديـوان واحـد.

يظهـر جسـده أكثـر فـلا يُطيـق مالـك النظـر إليـه؛ لمـا فيـه مـن جـروح مؤذيـه فيصيـح فيـه يوسـف:

– اهرب يا صديقى فقد عرفوا سبيلك.

فيقفـز مالـك مـن فـوق سـور هـذا البيـت الـذى هـو قاطنـه إلى أسـفل.

– من هم؟ من يطاردوننى؟

قالها فى نفسه ولم يقطع هذا التفكير سوى صراخ يوسف: قد مات.

لم يحزنه ذلك، فما كان يحزنه أنه لن يتذكر وجهها بأكمل تذكر بعد الآن.

«ياسمينا. إنى سميتها ياسمينا» قالها مالك فى أول مرة شاهدها لأنه كان معتقدا أن لكل اسم نصيبا منه يستخلصه المُسمّى به لنفسه، كما أراد أن يستخلصها لنفسه. جسده يرتعد من البرد وليت هذه البرودة توحى له بأنه ليس فى أغسطس، عساها تقنعه بغيومها أنه قد ضل السبيل:

– غيوم! وهل فيه غيوم؟ إن غلافه صافٍ. قالها فى نفسه.

فأخذ يتحسس كل شيء حوله ولكنه لم يَرَ أحدا، فقد ارتسمت صورتها بكل وجه شاحب أمامه، الحقيقة لأنه وحيد فى هذا الطريق كما اعتاد الوحدة فى حياته.

فأخذ يحدث نفسه قائلا :

– علىَّ أن أجدها، فكم اشتقت لطلتها! ولكم افتقدت ابتسامتها، ولكم افتقدت نفسى.

***

الفصل الثانى

«إلى اللانهائية وما بعدها»

«buzz light year» ،، toy story

باز يطير

«ألعاب نارية تعم السماء، لعله زفاف عروسين أو احتفالات رأس السنة، رأس السنة !»

قالها مالك فى نفسه.

«اجعلوها فى أغسطس» سائلا أحد المارة فى الطريق فأجابه :

– «أى شيء ؟» سأله فى استغراب تام.

– «لا شيء يا صديقى سوى أننى فرح بلقياك، فكما ترى لا أحد فى الطريق».

– «كيف والشارع مزدحم كما ترى؟». ازدادت دهشة الرجل فأكمل: «وأنا لست صديقك».

ينظر مالك فى دهشة إليه وإلى كل من هم بالطريق ويقول:

«ليسوا بشرا، كل ما يملكونه هو التلاعب بالمشاعر والعبث بالأرواح، والرحيل بلا سبب ولا أثر، الرحيل وكأنهم لم يُخلقوا أصلا يا صديقى».

كانت لمعة بعينيه تفيض شوقا وهو يقول هذا الكلام، قالها بتأثر شديد يبدو فى نبرات صوته، فظهرت على الرجل ملامح الدهشة من ذاك القول الأقرب إلى قول الحكمة فقال:

– «أنا...لست صديقك قلت، أنا لا أعرفك».

– « قد اتخذتك صديقا لى ولذلك اذهب ولا ترنى وجهك مجددا؛ فأنا أكره الأصدقاء».

– قالها مالك بابتسامة مليئة بالفموض.

– يذهب الرجل بخطوات بطيئة يعمه التعجب بل هو الأعلى من التعجب وأخذ يفكر فى كلامه والتفت إليه قائلا :

- « من أنت»
- فيقطعه مالك :
- «إذا كنت تحب أيها الصديق العابر فلا تجعل الحب يتوغل فى قلبك لدرجة لا تجعلك تطيق فراقا؛ لأن الروح وقتها ستقيم صراعا بل عراكا مع القلب أيهما يعشق بشدة».
- ينظر الرجل إليه فى دهشة وكأن هذا التعبير قد وُصم به فى وجهه من غرابة هذا الرجل الغامض، وكأن مالك يطلق من كنانته أسهما ترسخ فى قلب المستمع، وكأنها من يد رامٍ مُحترف، فيعود الرجل إليه ثانية ويقول:
- «نسيت أن أقول لك، كل عام وأنت بخير، ولعل العام المقبل علينا يترك فيك أثرا فيزيل عنك همومك، فمن المستحيل أن رجلا بهذا المُحيّا المليء بالذكاء ليس لديه عقل يدبر به أمره، امض فى سلام ولا تنظر لماضيك أكثر من اللازم كى لا تعثر فى مشيك، واعلم أن كل ما أنت طالبه هو لك».
- «إذن.. هى رأس السنة» .

واقترب مالك إليه وأخذ يهمس فى أذنه قائلا :

«عليك أن تذهب يا صديقى فكوكب «زمردة» كما تعلم للفتيات فقط، وعلىَّ أن أذهب أنا أيضًا لأن الفضاء سيرسل لنا أبطال هذا الكوكب لاحتفالات رأس السنة، إلى لقاء».

اندهش الرجل من هذا الكلام العجيب ومن التفات مالك له، قد سار مبتسما حائرا، ضاحكا تارة ومندهشا تارة أخرى.

«حقا، ياللعجب» قالها فى نفسه فى شيء من التيه.

سار مالك فى فزع لما حدث فى حواره السابق قائلا فى نفسه :

«إننى حقا لاأجد سبيلا للذكاء، أى أغسطس هذا؟! إن لهذا الشهر تقاليد خاصة، ولكنه شهر لا يعرف الانكماش فى أى شيء سوى انكماش المشاعر حتى أنك لا تستطيع وصف من تحب، على النقيض فى هذا الشهر تتولد فيه مشاعر كأنك وضعت آلات تنتجها داخل قلبك حتى وإن كنت لا ترغب، ناظراً أمامه مستكشفاً ما حوله كعادته التى ألفها فيجد على مقدمة بيت تزينه أشجار «الكريسماس» شباب يجلس على هيئة غير معهودة فى هذا اليوم.

«ماخطبكم» قالها مالك وهو متجه نحوهم بابتسامته المليئة بالغموض.

«ماخطبك أنت» قالها أحدهم فى استغراب واضح على وجهه وأكمل:

«لم لا تحتفل؟! وكى نريحك نحن نقرأ قصيدة شعر لشاعر فى أواخر القرن الماضى، وقد ألف ديواناً واحداً يسمى «هند لم تمت».

أعجب مالك بما سمعه منهم لأنهم حقاً متميزون عن البقية فى هذا اليوم أو الليلة التى تمثل للكثيرين لهوا وعبثا فقط، الكل فيها يرتدى قناعاً يحجبه عن البقية فى ظل وضع الاجتماعيات الساذجة فيخفى حقيقته الدنسة وراء ذاك القناع، ثم أنه أدرك اسم الديوان فى ذهنه مرة أخرى، إنه ليس جديداً عليه سماعه قد أقرئ عليه الاسم من قبل ثم نفر من ذهنه تلك الهواجس فأعرب قائلاً :

«أخبرنى بشيء فى هذا».

أقرأه ذلك الشاب بيتاً يقول:

ولقد مضت سنوات منهك حبها

ولقد أغارت مثل عشق معـــاذه

اجتاحـه ذاك البيـت كـما يجتـاح المـوج صخـرة منعزلـه عـن بقيـة الصخـور فى ليلـة يعمهـا شـتاء باريسـى قـارص، فـلا تجـد مـن يضمها ويبـث بهـا دفئـاً، يـرى أن حـرارة هـذا البيـت لـو اجتاحتهـا لألهبتهـا ولبعثـت فى قلبهـا بـما يفـوق الـذى تحتاجـه، كـذا إذن كان مالـك.

«أوس، اسـمه أوس صاحـب هـذا الديـوان يـا...» قالهـا الشـاب لمالـك.

– « لا تسـأل عـن اسـمي، وان أردت أن تسـأل فسـل عـن أوس هـذا وادعـه أن يكتـب مجـدداً ولكـن بعـد أن يشـفى عقلـه، إلى لقـاء»

ربـما تكـون الأحيـان التـى تـتردد فيهـا ذكـر ماضيـك هـى أسـوأ الأحيـان بالنسـبة إليـك، حينـما تكـون فى سراب عميـق يجللـه الاسـم الـذى ذكـر «أوس»، ذاك الاسـم الـذى يـدل عـلى النـصرة، مـا اهتـز حينـما سـمعه وكأن كل حـرف مـن حروفـه القليلـه هـمّ ليأخـذ سـهماً مـن كنانتـه العـذراء، هـو الآن حائـر يريـد فقـط أن يعـرف خيطـاً آخـر لتكتمـل الصـورة أمامـه، وليكتـب بجـوار اسـمه الـذى علمـه اسـم والـده «أوس، ولكـن قـد ضـل ماهيتـه».

نظر إلى السماء مجددا فوجد فيها ألعاب نارية فأخذ يقول:

«ألعـاب ناريـة مـن جديـد !.. مـاذا ٢٠٠٤؟! وأيـن كنـت منـذ ١٩٩٨، سـت سـنوات فى الغرفـة لا يهـم عـلى أن أذهـب قبـل أن يهبـط أبطـال كوكـب زمـردة، هيـا يـا صديقـى مالـك أو إلى لقـاء».

الفصل الثالث

«البحث فى الذات دوماً لا يبدى لنا إلا أسوأ
لحظات عشناها، ويذكِّرنا متعمداً بأشياء
قد تعمَّدنا نحن أيضًا نسيانها»

(٢٨ أغسطس ١٩٩٨، السابعة مساءً)

لفحة من الهواء البارد قليلاً على غير عادة أغسطس، تقتلع تلك اللفحه القلق من قلب أوس، قلق عينيه يريد أن يأخذ اللون من الجدران، بها لمعة كأنه قد آثر على نفسه الموت ولا يطيق انتظاراً أكثر من ذلك، فى تلك اللحظه قد رسم فى ذهنه القصة كاملة، وهى أن تنتظر أكثر من خمس ساعات من الموعد المحدد التى ستصل فيه زوجتك ثم يقرع الباب بشيء من البطء الموحى بالقلق فتفتح الباب وتجد خلفه رجلا يقول لك: «زوجتك قد ماتت». كل هذا قد رسمه أوس فى عقله قبل أن يدق الباب. فى الحقيقه يسير بخطوات بطيئة مترددة بين الإقبال والإدبار حتى يصل إلى المقبض يمسكه ببطء ويداه المرتجفان من شدة الفزع تكادان أن تتحطما كجزيئات الزجاج وهى ممسكة بهذا اللعين حتى استقر أن يفتح الباب.

«أستاذ أوس»، قالها بنبرة حزن شديد، فأخذ أوس يلحظ وجهه بتوهم ولكن خياله قد هون عليه الكثير فرد عليه أوس بعد فترة صمت طالت:

«وما خطب الطفلة؟»

قالها وكأن لسانه هذا يأبى أن ينطق بمثل هذه الكلمات، ولكنه فى النهاية فعل وصاحبنا هذا الذى قد عمته الدهشة، فأخذ لسانه يرتجف ويهمهم ببضعة ألفاظ لا تفسر، ولكنه قد

راعـى ذكاء مـن أمامـه بعـد أن فجعـه سـؤال أوس الـذى حـلّ عليـه بصمـت مـروع، فاسـتكمل فى حزنـه قائـلاً:

«هى من ماتت، أما الأم فما زالت حية».

حالـة مـن السـكون التـام تعـم المشـفى وهنـاك شـخص مسـتند عـلى زجـاج يحـول بينـه وبـين زوجتـه، واضـع رأسـه كالـذى لا حيلـة لـه، يعلـو وجهـه الشـاحب بضعـة دمـوع تنسـال بحـزن غـير معهـود لهـذا الوجـه، جسـمه يهبـط شـيئاً فشـيئا حتـى يسـتلقى عـلى الأرض. منتفـض مـن أثـر مـا حـدث، يتلـوى ذات اليمـين واليسـار كأنـه يكتشـف الأرض مـن جديـد بعدمـا ذهبـت عنهـا ابنتـه الوحيـدة قـرة عينـه، ولـمَّـا سـكن همـت قدمـاه وضمتـا إلى بطنـه كأنهـا انتظـرت تلـك الفرصـة ليدخـل فى طويتـه مـرة أخـرى، ولكـى يتيـح الفرصـة لابنتـه كـى تحتضنـه الحضـن الأخـير أو أن تلقيـه عـلى صدرهـا، فهـى ضئيلـة الحجـم فى الخامسـة مـن عمرهـا تغازل لحيتـه بأصابعهـا وتتخللهـا برقة كـى لا توقظـه مـن سِـنته التـى قـد دخـل فيهـا ولا تلبث حتـى تصفف شـعره أيضًـا بيديهـا، لأنهـا قد نسـيت أن تجلـب معها مشـطاً مـن الجنة.

(١ يناير ٢٠٠٤، الواحدة بعد منتصف الليل...)

فى وقـت قريـب مـن الفجـر، وهنـاك أربـع سـاعات تفصلنـا عنـه، كان «أوس» مسـتلقياً عـلى الأرض، عـادة مـا يكـون كذلـك تمـلأ وجهه ابتسـامة تبـدى للناظريـن ارتياحـه التـام، ولكـن بعضـا مـن الدمـوع قـد خانتـه وانهمـرت مـن عينيـه وسرعـان مـا تحـول مـن شـمس مشرقـة إلى هـلال كئيـب أطفأتـه نـار الحرقـة فى آخـر الشـهر العربـى.

تشع فيه دفئاً تلك التى قد نسيت المشط «هند» اسمها هند، جبهتها مونقة وعيناها لامعتان كسهيل فى السماء، لها وجنتان مليئتان بابتسامات لم تظهرها إلا لأبيها، كثيف شعرها، ولطالما عاقها عن اللعب لطوله الغريب، بياضها ناصع ومترائى ثغرها لا يغرب إلا خجلاً من أغراب ليست تعرفهم، ولكن كل هذا مغمور فى التراب.

استيقظ أوس وقد امتلأت الأرض بدموعه الشجنة، وأبت أن تستقبل منه فيضا من غيث عينيه القاتم، متجهاً نحو المسجد لأن هناك تجمعا فى ساحته مردداً فى نفسه :

«هند لم تمت، وهل كان بى عقل وأنا أنظم ذلك الديوان؟! أم الوقاحة قد وصلت لأعلى معانيها فتمتزج أيضًا بالبحث عن فتاة أخرى تدعي.....، أنا لا أعرف بما ينادونها لا أعرف عنها شيئا سوى الاسم الذى قد أطلقته عليها وكأننى ثاوٍ على جبلٍ يعصمنى من هند».

وإذا بمنظر مروع يؤلم الأنظار ويحولها إليه، فتاة تستلقى حبيبها على قدمها وهو غرق فى دمه، وكأنها تداعب دماءه بدموعها فيمتزجان ليبتسما لهذا الجمع الكئيب، ورغم كل هذا كان يتطلع الأوجه للبحث عنها، فبالرغم من كل ما قاله فى نفسه إلا أنه ما زال فى ساحة صراع لقياها ولكن قد اشتد الليل فى ظلمته. والكل يزينون وجوههم ببضعة دموع زائفة يرهبون الموت فى مثل هذه الأحايين فقط، وكأنهم قد فجعهم ما حدث. وبينما هو متطلع

لهـذه الأقنعـة إذا بنورهـا يحجـب الـكل ويجعـل وجهـه ملثـماً بضياهـا تاركـة لـه عينيهـا كـى يسـتطيع أن يحـدق النظـر فيهـا أكثـر ويـدرك أنـه قـد حـق عليـه أن يلقاهـا. هـرول نحوهـا وأخـذ يحـدق فيهـا مـن جديـد، فى قلبـه ريـب مـن حقيقـة وقوفهـا تجاهـه، هَـمّ ليمسـك يديهـا وفعـل، إلا أنهـا لم تُبـدِ تعقيبـا عنـد ذاك وابتسـمت فـأسرع بلسـانه متلفظـا :

«لمـاذا أنـت بعيـدة إلى هـذا الحـد أجيبينـى يـا ياسـمينا»؟ قالهـا فى حميـة إن شـئت فقـل فى ثـورة، وكأن كل ذرة فى جسـده قـد همـت بـل أينعـت لتقـول لهـا مثـل هـذا الـكلام فحسـب، لا تنتظـر منهـا ردا سـوى أنهـا قـد أنهـت مـا بداخلهـا مـن ألم وأبدتـه فى هـذه الجملـة البسـيطة. فأعـادت الابتسـامة إلى ثغرهـا مـن جديـد فى شيء مـن الـدفء وتلفظـت:

– «كنـت أبحـث عنـك مثلـما تبحـث عنـى فقـد تركـت الغرفـة ورحلـت حينـما قـرع البـاب، كعادتـك».

الفصل الرابع

«وكأنها نار كلما اقتربت منها احترقت؛
لأنه ليس بداخلك نار الشوق»

(٣١ أغسطس ١٩٩٨، الثالثه عصراً)

يفتح عينيه تباعاً كأزهار الربيع، ولكن هذه الزهرة تدرك أن الربيع قد انقضى فتخون غصنها العالقة به وتزول إلى الأبد، يجد أمامه طبيبا وجهه بشوش، ولكن البشاشة من هذا النوع لا تعرف المأتم الذى هو فيه، يحاول التلفظ بكلمات فلا يستطع، ثم قال بعد عناء :

«كم مر من الزمن على فراقها؟.. ألف عام أم أكثر؟.. وكيف حال سلمى زوجتى التى أغضبتها كثيراً فتركت البيت وحق عليها ألا تعود إلا بمكالمتى، والحقيقة هى لم تعد حتى الآن».

وكأن كل حرف يحتاج قدرا ليس بضئيل ليخرج من فمه المرتجف الذى فقدت شفتاه القدرة على الالتصاق ببعضهما مرة أخرى لشدة تنهيداته المتكررة بسبب البكاء على ابنته الوحيدة، وان لم يبكِ فعلى من يبكي؟!

«لله در القلب حين ينكسر فلا سبيل إلى إصلاحه من جديد». «الراوى»

نظر الطبيب إليه فى شيء من العجز فلا يعرف بم يرد عليه.

«وجب طمأنته على زوجته» «الراوي»

«بخير وأعدك أن تشفى قريباً». قالها الطبيب لأوس بابتسامته التى لم يخفها.

- «أو لا تعدنى، كلاهما واحد، تفيق أو لا تفيق، لا تهتم بالقول ولو كان عندك ابنة فلا تدعها تخلل أصابعها بين خصيلات شعرك برقة شديدة لأنك حتماً ستفتقد لذلك».

- «الصدمة دائماً تأخذ وهلتها الأولى ولكننى أعرف أننى لن أحتمل صدمة مثل هذه، أعرف بأن جسدى قد اهتز حين سماعها ولكن لا حيلة لى سوى أن أرويها يا ابنتي، اعذريني، واعذرينى أيضًا على تحريف هذه الحقيقة «.

- «وإن كانت غير ابنتك». قالها الطبيب وعيناه تجهشان بكاءً لما يقول ولكن أوس لم تح له الفرصة وقال:

- «ماذا تقول أيها الأبله، ليست ابنتي؟ كيف؟!»

- «قد أثبتت الفحوصات الطبية التى أجريناها لك أنك لا تنجب، فقد أجرينا لك كل بحث عرفناه لنعلم سبب غيبوبتك ثلاثة أيام متتالية».

وكأن هناك حبلا أو ما شابه التف حول عنقه فخنّقه، حالة هستيرية تعم كلامه، ونظراته الحرة الطليقة قد أضحت مكبلة بالدموع.

وتدخل ممرضة فجأة إلى الغرفة وتقول:

«الأم استيقظت».

فأخذ أوس يردد :

«جميل، اذهب أنت وسآتى خلفك، إنها زوجتى رغم أى شيء تفعله» .

«ابنتنا، ماتت ابنتنا»!

قالتها سلمى حينما كان أوس يغلق الباب فدخل وجلس إلى جوارها وقال بعد أن استنشق نفسا عميقا :

«ابنتك أنت، أما ابنتى لم تولد حتى تمت الآن « ناظر لأسفل واضعا كفا على كف مدلكا إياهما وكأنه متأهب لشيء».

– «ما هذا الكلام؟»

– «كلام، كله كلام».

فينهض من جوارها وينظر لها بعينيه ويكادان يتلامسان ثم أكمل :

«حتى زعمك أنك شريفة كلام أيضًا».

تقاطعه سلمى قائلة :

– «حسبك، هل جُننت؟»

– « لا بل هى المرة الوحيدة التى أتحدث بها بعقلى وأخمد ذاك القلب اللعين».

ويصمت قليلا بتنهيدات متكررة ثم يكمل :

«أنا لست حزينا على رحيلها، لا لأنها ليست ابنتى ولكن لأنها لن تجرع العهر والفجور فى كاسات مذهبك».

– «ما كنت فى ثورة أعظم من ذلك وكأننى بركان يفور بعدما كان خامدا لسنين طويلة أشبه بالعجاف».

«أنا لا أعرف ما الذى كان يقصده من ذلك يا عزيزتى ولكن أكملى كى نستطيع أن نفهم» « الرواى»

التف أوس حولها وأخذ غطاء ولفه حول يده وقال :

«ليس لها ذنب فيما اقترفت، ولا لها ذنب فى أنها ابنة لامرأة عاهرة استباحت امتشاق لعاب رجل آخر غير زوجها وكأنها حية تضع فى فمى سُمًّا مما امتشقته».

يغشى وجهها بذاك الغطاء ولا يدع سبيلا للتنفس ثم يكمل: «ذنبها أنك حملتها بين أضلعك التى استباحها كل الرجال، كلانا الآن ند، أنا قاتل دفاعا عن الشرف وأنت باكية من ذل الدنس».

(١ يناير ٢٠٠٤، الرابعة فجرا)

«وها قد وصلنا يامالك، غرفتنا التى طالما هربت منها ونسيت أصلا أنك تسكن بها».

قالتها ياسمينا بابتسامة مليئة بالدفء، حنانها يفوق وصف الكتبة الذين يتفننون، ثم أكملت :

«ولكن ما الذى كنت تفكر به طوال مسيرتنا؟»

– أوس، اسمى أوس « قالها وهو يتطلع لعينيها اللامعتين الناظرتين له نظرة الأم لرضيعها الذى لم يكمل العامين، تفقد ملامح وجهها وكأنه يريد تذكره، أصابه المسّ فلا هو

قادر على سؤال قد يصيبها بالجنون «ما الذى يجلسه معها؟» يخشى أن يُغشى عليها، وبعد أن عصف ذهنه قرر وضع يديه على كتفها مستندا عليها وهما صاعدان لهذا السلم، دخلا غرفتهما فاستلقى على السرير كأنه قد قفز عليه وما إن نظرت ياسمينا له فقالت فى دفء : «أفتقدتك».

كلمة مليئة بالشغف، يريد سماعها ألف مرة بهذا الشغف العظيم. فكررتها هى وكأنها تعرف بأنه يحتاجها ثم تكمل:

«وكل مرة تخرج فيها من هنا أفتقدك، وكل مرة تعود أفتقدك أيضًا».

– «لِمَ لَمْ تُبدى اهتماما حينما أخبرتك أن اسمى أوس».

– «لأننى أعرف يا حبيبي، نَم أنت الآن وغدا سأُخبرك بكل شيء».

نهض من على فراشه ببطء ثم اتجه نحوها يلاعب خصيلات شعرها بأصابعه ثم ينزلها بسرعة غريبة، حاد بالنظر عنها قليلا ثم احتضنها، احتضنها وكأنه يريد أن يثبت للعالم كله لا لنفسه فقط، إنه قد وجدها، ولكنه هَوَى على الأرض لأن الخيال إذا تجسّد واحتضنك سيسقطك حتما، ويطيح بأحلامك أرضا.

الفصل الخامس

«انهض من أحلامك سريعا يا صغيرى فلا يمنعك عن تحقيقها شىء».

(١ يناير ٢٠٠٤، الرابعة فجرا)

فى التوقيت ذاته الذى رجع فيه أوس إلى غرفته كان هناك على الجانب الآخر فتاة تنظر من نافذتها تستطلع أخبار النجوم عن العام الجديد، مُدققة فى بريقها. عيناها لامعتان بزوال الليل الذى يحدث ببطء شديد، حرة فى الفضاء السرمدى الذى أمامها وهى واضعة خدها فوق يدها عادة ما تكون كذلك وهى تنتظر سطوع الشمس فى مقتبل العام الجديد.

«ياسمينا» فتاة فى العشرين من عمرها وكأنها خلقت كى تمنح للحياة ابتسامتها، شعرها كثيف أسود كلون الليل، يملأ حجرتها سكون لأنها تعشق الهدوء النسبى "كأميرات ديزني".

«أما حان الوقت للنوم يا حبيبتى».

قالها والد ياسمينا حينما فتح باب غرفتها ثم أكمل وهو متجه صوبها:

«أم ستنتظرين الشمس كعادة كل عام».

وما أعطى له فرصة الرد إلا أنه احتضنها بين ذراعيه ومسح من فوق وجنتيها دموعا لا ينبغى أن تنسال فوق هذا الوجه البرىء .

نظرت له ياسمينا نظرة تلحظ فيها خلايا وجهه السنى ثم قالت:

«لا سأنام هذا العام قبل سطوع الشمس، فهذا لن يغير القدر يا أبى».

– «ولكنكِ اعتدتِ ذلك، وما أحسبه إلا تغيرا».

– « أنا لم أتغير، وإن فعل البشر أجمعون فأنا لن أفعل».

قالتها فى شيء من الحزن وكأن بها هم لو امتزج بالسماء لأسقط منها نجومها.

وفعل أبوها كأى أب لا حيلة له إلا أن يضمها أكثر إلى صدره، بل إلى قلبه هذه المرة ثم أعرب قائلا:

«كنتِ تحبينه يا صغيرتي، أليس كذلك؟!»

سال الدمع أكثر من عينيها وازدادت تنهيداتها ثم قالت بصوت يغلبه تنهيدات متكررة :

«نعم مثلما أحببتك يا أبى ولكنكما رحلتما هو بالفراق وأنت بالموت».

(٢٤ أغسطس ١٩٩٨، التاسعة صباحا)

يجلس يوسف فى حجرة الانتظار بكلية دار العلوم جامعة القاهرة متطلعا إلى القهوة المقدمة له فى فنجان خزفى الشكل، بعد أن أسمع أوس كلاما مريرا عن زوجته.

يدخل عليه أوس من جديد فى حالة من العصبية الواضحة على وجهه، ولا شك من أن عينيه مليئتان بالغضب تكاد تقتل يوسف بسيف اللاستحياء، ثم يقول: «متأكد من أنك رأيتها وهى تدخل بيته».

فأجابه يوسف بصوت مهمهم :

«نعم وتأتيه مرتين فى الأسبوع».

يضرب أوس كفا بكف ويقوم فيتجول داخل الغرفة واضعا يده على لحيته والأخرى على جنبه ثم ينظر إليه ويقول بعد فترة صمت قد طالت:

«حسنا، أنت من ستخلصنى منها، ولكن لا تمسّ ابنتى بسوء قط».

ويقترب منه أكثر ويقول :

«حينما تذهب إليه مجددا فى الموعد الذى اعتادته عليك أن تراقب البيت جيدا وتراقبها هى الأخرى حينما تخرج من بيته، وتطلق عليها رصاصة مُزينة بكاتم صوت، هذا الاختراع المذهل، وحينما تقع فلتذهب كبقية الناس الذين سيلتفون حولها بعد أن تلقى سلاحك على الأرض طبعا، وتأخذ ابنتى وتأتنى بها، ولا تخف سوف أستقبلك ببضعة دموع زائفة».

(١ يناير ٢٠٠٤، الثالثة عصرا)

كان أوس مستلقيا على الأرض فى غرفته يرتجف من شدة البرد حتى تدخل عليه أمه بزيها الأبيض التى اعتادت أن تزوره به حينما تأتيه من قصرها الذى بالجنة، تلقيه على صدرها وتصفف شعره بيديها ثم تضمه أكثر وكأنها تحميه من خطر ما ثم تقول له هامسة فى أذنه : «انهض من أحلامك سريعا يا صغيرى فلا يمنعك أى شيء عن تحقيقها».

ثم تضعه فى مكانه بعدما امتلأ دفئا وترحل، فينهض أوس من أحلامه المتكررة مع أمه ولكن عقله الباطن يرسل له من أرشيفه تلك التى يصدرها له أول مرة فتنكشف حقيقته له تباعا ولكن ذهوله يزيد.

بيد أنه أدرك حتما أنه فى الشتاء حينما قرع الباب من جديد.

فى ذلك التوقيت كانت ياسمينا تستعد للنزول فكم تعشق السير على قدميها فى تلك الأوقات، وكأنها تريد استنشاق هواء

العـام الجديـد لتُخـرج لـه زفـيرا مـن أحلامهـا الراغبـة فى تحقيقهـا أو التـى قـد أضحـت تالفـة كـى تحقـق، تُحـدق النظـر فى المارين حتـى تجـد ذاك الشـاعر التـى كانـت تسـتمتع بأشـعاره فى النـادى الأدبـى ابن الروائـى الكبـير محمـد كريـم وكان يُدعـى «أوس»، تهـرول إليـه فتجده قـد تغـير كثـيرا ولكنهـا عرفتـه مـن حالـة التيـه التـى ألفهـا، قائلـة لـه:

«مرحبا، ألا تتذكرني، كنت أحضر لك وأسمع أشعارك».

(٢٧ أغسطس ١٩٩٨، الواحدة ظهرا)

يجلـس أوس متكئـا عـلى أريكتـه فى غرفتـه، مفكـرا فيـما قالـه لـه يوسـف، فهـو حتـى الآن لم يُبـدِ أى شيء ممّـا سـمعه، يتطلـع فى كل ركـن مـن أركان هـذه الغرفـة كان يجمعـه بسـلمى والمداعبـات التـى كانـت بينهـما، وتلـك المـرآة التـى قـد شـهدت حبهـما حينـما كان يصفـف أوس شـعرها وكأنهـا ابنتـه، لكـم عشـقها. تدخل سـلمى الغرفـة فتنظـر لـه نظـرة يُبـدى لها نظـرة اشـتياق ولكنـه يفهـم جيـدا أن كل هـذا نفـاق، فـما داعـى لكونهـا تتغـزل فيـه وتعطيـه ابتسـامات تحمـل بداخلهـا ريـاءً ثـم أنهـا تقطـع كل هـذا قائلـة:

– «كـم أنـت قـاسٍ، أمـا تشـتاق إلىَّ، ومـا كل هـذا الجفـاء الـذى فى عينيـك».

– «أراه أخا للوفاء الذى فى قلبك».

فتذهـب لتجلـس إلى جـواره وبهـا نظـرات حائـرة، متعجبـة مـن ثباتـه التـام وهـو يقـول ذاك الـكلام الغريـب عـلى حديثهـما فيكمـل أوس قائـلا :

«ولعـلّ عينيـك اللتـين غازلتهـما بقصائـدى الغزليـة لا تعـرف مثـل هـذا الجفـاء، ولعـل الاشـتياق التـى تتحدثـين عنـه نابـع مـن انشـغالنا نحـن الاثنـين بأشـياء أخـرى سـوانا».

ثم يمسك يديها ويقول: «ولعلى أنسى كل شيء حينما أقلب كفيك بين يدى وأقبلهما فى شيء من الحب، لأننى حقا أعشقك بشدة، وكأن عينى تعمى عن الحقيقة بإرادتى... آه ما هذا السحر الذى ينبع من يديك؟! إنه حقا مخيف جدا لدرجة أننى لن ألحظ فيهما ثانية، وإلى الأبد».

تركها فى حيرة من أمرها وذهب إلى مكتبه الذى قد تحول من ميدان حرب ومناوشات علمية إلى مقهى فى أحد الأحياء الراقية يشغله الهدوء التام والتفكير وتزينه القهوة.

(١ يناير ٢٠٠٤، الرابعة عصرا)

وقف أوس مرتبكا، وكيف لا يعرفها وكل نبضة تصدر منه تنطق باسمها الذى قد أطلقه عليها، فهى ناصعة البياض كشق من القمر، يعتلى وجنتاها حمرة تصدر من الخجل، وهو واقف حائر أمام كل هذا الحسن المهيب، ومن أين يبدأ وماذا يقول، بيد أنه قد استقر على أن يرد عليها بعد فترة صمت قد طالت قائلا:

– «نعم أتذكرك جدا..، أتذكرك لدرجة أننى لم أنسك قط».

وضح الذهول على وجه ياسمينا من غرابة ما سمعت إلا أنها قد ابتسمت وهى تقول: «أنا لا أفهم شيئا».

– «هذا جيد لدرجة كبيرة، أعندك ما يمنعك لنحتسى القهوة بمكان ما؟»

فأشارت بالموافقة، ثم ابتسم لها قائلا:

«تخيرى المكان واعتبريه بمثابة أننى لا أعرف شيئا».

فابتسمت وقالت :

«هناك مكان على مقربة بعض ساعة من السير، أحبه كثيرا».

– «كما تحبين السير».

فنظرت له بإعجاب قائلة:

«نعم، هيا بنا».

(يناير ٢٠٠١، المصحة النفسية)

يدخل الطبيب بخطوات مقلقة متجها نحو أوس الذى كان جالسا على فراشه، فيقترب منه مبتسما ويقول:

«لم يبقَ أحد فى العنبر سواك».

فينظر أوس فى كل ناحية بالعنبر بغير دهشة وكأنه يستطلع الأمر للطبيب قائلا: « محق..، منهم من نُقل، ومنهم من مات بسبب الجرعات الزائدة، ليست لديهم أى قوة ليحتملوها».

– «ولكنك تحتملها ولا تشعر بالألم ».

فيضحك أوس بصوت عالٍ ويقول له :

«أى ألم؟»

ثم يكمل بصوت يعمه الحزن قائلا :

« إن بى ألما أعظم من تياركم الكهربى هذا، ألم ابنة أطعمتها فى فيها ولم تكن من صلبي، وألم عشقى لزوجتى الذى بادلته لشخص آخر، وألم أب لم أجده طيلة حياتى إلا كارها لى ولا أملك أى مبرر لهذا الكره.

حاول الطبيب أن يبدى التأثر ولكن المدامع خانته من فرط الأسى فى هذا الكلام، ولا سبيل إلا إتاحة فرصته للكلام من جديد فأكمل أوس:

«إن كان لـك ابنـة فـلا تدعهـا تخلـل أصابعهـا بـين خصيـلات شـعرك إلا أن تُثبـت صحـة أنهـا ابنتـك، كلهـن خائنـات يـا صديقـي، كلهـم قسـاة القلـوب لـذا فابحـث عمـن بقلبهـا نقـاء يغلـب ذاك النقـاء عـلى وجههـا فيوحـى لـك بأنهـا خامسـة النسـاء الكاملـين وإن وجدتهـا فتزوجهـا».

– «إنـه حقـا محـق، كيـف عـلى أن أصفـه بجنـون أو بارانويـة كـما شـخصناه مـن قبـل».

قالهـا الطبيـب فى نفسـه ولكـن أمانتـه الطبيـة كـما يسـميها الكثيرون اقتضـت جرعـة تيـار جديـد فأشـار إلى الممرضـين كـى يسـتند عليهـما أوس وهـو ذاهـب لأخـذ الجرعـة، فهـو لم يعـد يبـالى بـأى شيء حتـى الآلام، مُكبـل القلـب لكـن عينيـه حـرة، تتطلـع فى معـالم الأرض التـى يسـير فوقهـا حتـى تصطـدم بقدمـى الطبيـب وهو يسـير أمامـه فيقول :

«أمـا لهـذه الآلام أن تسـتطيع صـدّ ألمـك أيهـا الطبيـب، أو أن هـذا القـدر لا يكفـى، حسـنا، سأسـمعك الأمـرّ وهـو أن تـشرع فى قتـل زوجتـك الخائنـة فيغيثوهـا مـن بـين يديـك بأعجوبـة وهـم لا يدركـون شـيئا عـن حقيقتهـا وفى نهايـة المطـاف يرسـلك أبلـه إلى هـذا المـكان بتهمـة نقصـان العقـل».

يقـف الطبيـب فالممرضـان ويتجـه صوبـه ولكـن هـذه المـرة قـد امتـلأت عينـاه بالبـكاء، أصـاب قلبـه كل كلمة قيلـت ولكنه ينظـر إليه فى شيء مـن الشـفقة التـى يكرههـا أوس ثـم يقـول بصـوت متهـدج:

«لله درك، أتحمل كل هذا فى صدرك ولا تبح به».

ثم ينظر إلى الممرضين ويقول:

«اذهـب بـه إلى العنـبر مجـددا؛ فهـو ليـس بحاجـة إلى التيـار ثانيـة، بـل بحاجـة إلى الحيـاة».

«أستاذ أوس».

قالتها ياسمينا لتنبه ذاك الذى قد سبح بخياله بعيدا عن أى شيء حوله، ثم انتبه بعد تكرارها عليه أكثر من مرة فتقول له ياسمينا : «لقد وصلنا».

دخلا ذاك المكان «الكافيه» ثم قال لها فى شيء من الخجل:

«أنا لاأملك مالا».

– «لاعليك، سأتولى الأمر».

ابتسم فى حرج شديد، فما اعتاد أن يوضع فى مثل هذه المواقف على حسب ما يتذكر، فنظرت له بضحكتها وابتسامتها المعهودة قائلة :

– «لم تسألنى عن اسمى» .

– «ياسمينا». قالها بكل ثقة دون أن يتردد لحظة.

– « ولكن من قال لك؟!» قالتها فى استغراب شديد.

– «أنفى».

فضحكا معا ثم استأنف حديثه قائلا:

« أؤمن دائما أن لكل اسم نصيبا يستخلصه المسمى به لنفسه، وحينما مررت بجانبك ذات يوم استنشقت فيكِ رائحة الياسمينا».

فابتسمت أكثر وقالت :

«كنت تراقبنى إذن؟!»

فضحك بصوت عال وقال :

«لا بل أحبك».

الفصل السادس

قاعدة «١»

- لا تدع الماضى يسيطر عليك.

(٢٨ أغسطس ١٩٩٨)

الطريق هاديء جدا، حينما كان يوسف واقفا فى شرفة بيته المطلة على البيت الذى أشار إليه لأوس مترقبا نزول سلمى من هذا البيت، ولعل تأخيرها هذا هو الذى أتاح لعقله الفرصة فى أن يفكر قائلا :

«إن كانت غير شريفة، فلماذا تأتى بابنتها معها إلى هذا المكان؟!»

وما إن فرغ من حديثه حتى رأى سلمى وهى تخرج من هذا البيت، فهمّ بإمساك مسدسه المدبب بكاتم الصوت ورفعه ليسدد إلى سلمى ولكنّ سائقا طائشا سبقه بسيارته واصطدم بالطفلة.

«لا يمكن أن تكون تلك هى النهاية لأى سبب كان، القدر يخجل أصلا من تطبيق ذلك يا ابنتي، لأن تكون الضحية فتاة مثلك أنت، لذا فقد تركك حاملة للخير من بعد أبيك».

«هند.»

هذه الكلمة الصادرة من فم سلمى قد هزت كل أرجاء الحى واجتمع الناس من كل حدب وصوب، ولا تدرى من أين جاءوا، تهوى سلمى على الأرض بركبتيها أمام ابنتها التى ينزف الدم منها فى حالة من الفزع، فتبسط يدها وتستلقيها على صدرها وتضمها فى حالة من العويل، طفلة فى الخامسة من العمر قد ماتت بلا ذنب اقترفته سوى أنها تركت يد أمها وأخذت تلهو فى الطريق الفارغ من الناس كبقية

الأطفال، ولكن... هناك نبض ما زالت حية، صاحت سلمى:

« أنقذونا إن بها نبضا، تواصلوا مع المشفى».

ولكن رصاصة يوسف التى قد أخطأت قصدها قد رسخت فى قلب هند وأحبطت محاولات النجاة، وأنهت مسيرة حياتها.

(١ يناير ٢٠٠٤)

ذهول تام يبدو على وجه ياسمينا بعد تلك الكلمة التى قد صدرت من أوس، من الجائز لأنها قد سمعت مثل هذا الكلام من قبل، ولكنها قد دهشت حقا من الجدية التى نطقت بها الكلمة، و لقد عزز أوس مشاعره وأكمل:

«وكل مرة كنت أشاهدك فيها كنت أشعر بنبض قلبي، قد اجتزت ظروفا صعبة إلى حد عظيم، ولكن الآلام تُبلى حينما أجدك فتاة فى أواخر العقد الثانى من عمرها تبث فى قلبى حرارة بالغة، إنى أصدقك القول... أحبك للقدر الذى لم يجده العشاق فى ثنايا السماء» .

وقتها لم تبُح شفتاها بأى لفظ، مُكبلة المشاعر، مقيدة القلب، أشواقها وشعورها قد رحلا منها وأبديا اللاعودة إليها من جديد، ولكن بها شيئا تهتدى به مازال يعانقها «العقل».

نعم ذاك الشيء البرزخى الذى لا وجود له بجسد الإنسان، هو لا يضلها ولا يقودها إلى ما لا تهواه، بينما كان سلاح أوس قوى ينزل منه وابل كسهام فى معركة فاصلة إلا أن هذه السهام قد صدت بدرع يسمى «صدأ القلب»، مشتتة بين كلماته وعقلها

حتى أنهت ذلك بالهروب عادة ما تفعل وقالت :

«لقد تأخرت، علىَّ الذهاب.»

وهمت للقيام تاركة «الحساب» كما تركت قلبه عاريا فى هواء شديد العاصفة، متحير بين قبولها ورفضها، تركته بابتسامتها الفاتنة ورحلت إلا أنها قبل أن تغادره التفتت له بثغرها المترائى قائلة : «هيّا أعيدك أينما لقيتك، فأنت لا تعرف شيئا».

(٨ أكتوبر ٢٠٠١، السابعة صباحا)

تستيقظ ياسمينا من النوم بابتسامتها المشرقة التى لا تغيب عنها أبدا، وكأنها تبث للحياة بهجتها كى تمنح الحياة إشراقة فوق إشراقتها، وكأن البهجة قد خلقت لترسم على وجنتيها وتحظى بشفتيها، وقتها لا بد للناظر من أن يخضع لسلطانها الدائم طالما حيت وأن يُبث بقلبه طمأنينة الهوى، ذهبت لتوقظ أباها فاتحة باب الغرفة بحيوية، وكأنها تقفز من على فراشه فى دعابة اعتادتها معه، تقبل خده ثم تقول :

«هيّا استيقظ يا أبي، ما كل هذا النوم» .

ولكنه لن يصحو فى مثل هذا اليوم ولا الذى يليه، لن يصحو إلا يوم مُلاقاة الحساب، لطالما كانت تخشى مثل هذا اليوم ولكن ما يُهوّن عليها أنها كانت تتوقع ذلك عاجلا أم آجلا.

«إننا لا نحزن على الموتى يا صغيرتي، ولكن كلنا نصاب بمرض يُدعى الفراق الأبدى، لذلك لا تبكى يا حبيبتي، لا تبكى». «الراوى».

تُغمر رأسها بين ذراعيه كأنها تُحييه من جديد بدموعها البريئة، لأنها تعلم أن سندها فى هذه الحياة قد مات ولا حول لها بعده، لا تدرى ماذا تفعل، إلا أنها قررت سريعا أن تتصل بحبيبها «على» وتقول له :

«على، مالى سواك الآن».

ثم تغلبها تنهيدات وتهمهم بكلام غير مفهوم غير أنها تماسكت قائلة :

«أبى قد مات يا علي، مات وتركنى فى هذه الدنيا وحدي، ولم يعد لى أحد سواك».

– «آسف، أنا مشغول الآن».

وأغلق هاتفه كما أغلق قلبها تجاهه، فتاة فى السابعة عشرة من عمرها تفقد كل ما لديها من أمل ولكنها تذكرت على التوّ كلام والدها حينما قال :

– «أريدك أن تكونى متماسكة يا حبيبتي، تعلمى أن مرضى يتمكن منى، لذا فكونى سندا لنفسكِ ولا تنتظرى العون من أحد، أريدك أن تصنعى لنفسك كيانا مستقلا بك، منعزلا عمن سواك ولا أحد يدخله إلا بإرادتك، ولا أحد يقترب منك إلا بإرادتك، ولا يخرج منه أحد أو يبتعد إلا بإرادتك أيضا، كونى أنتِ يا صغيرتى».

وما إن تذكرت هذا الكلام، فصمدت من أجل أبيها فقط.

(١٥ يناير ٢٠٠٤)

«خمسة أيام وقد قصصت على كل شيء تتذكره كما قلت، ولكن هناك جزء مفقود، لماذا اعتزلت بغرفتك وقد كنت انطلقت بعد خروجك من المصحة».

قالتها ياسمينا فى شيء من الحرج لأوس الذى كان متبسما وهو يستمع مثل هذا الكلام منها، وبعد أن أوضح لها أن الحرج يجب أن يتنحى جانبا فقال :

«قد ماتت أمى بعد خروجى من المصحة بعام، فى نفس التاريخ الذى ماتت فيه ابنتي..... أقصد ابنة طليقتى» .

يصمت قليلا ثم يكمل :

«اتهمنى أبى بأننى السبب فى موتها وأخذ يثبت ويبرهن على ذلك وهو مخضرم بالإقناع».

يضحك بشيء من الفتور بعض الشيء، وتغلبه دموع تنسال على خده ثم يتحدث بضحك يظهر على كلامه قائلا :

«أنا لا أعرف ما الذى يجلسك معى الآن بعدما عرفتِ كل هذا؟»

فتحيد بالنظر بعد الشيء إلى السماء بعدما امتلأت عيناها بالدموع، وكأن مشاعرها رُدت إليها من جديد وعادت إليها روحها فى شعور، هو لم يفسره حتى أطالت النظر إلى السماء، مطلقة عينيها فى كل النواحى، ولاسيما القلب حائر متردد وكأن صداه يُزال ببطء ممل فينتقل جوارها قائلا :

«تشبهنى كثيرا».

– «مَن ؟»

«السماء، فأنا أيضًا مُظلم كليلها، بى سحب تغشى على آفاقى وعقلي، ولكن هناك شيئا واحدا أصبحت أستنير به الآن، قلبي، أو أنتِ لأنك أصبحت الآن به وإن شئت فقولى أنك اصبحتِ الآن هو».

تبتسم كثيرا ثم تنسحب بشيء من الخجل قائلة :

– «نحن بالنهار يا أوس».

– «النهار والليل كلاهما أصبح عندى واحد، طالما كنت أتحدث مع القمر».

«مبالغة مقبولة لأننى أصبحت أصدق كل كلمة تلفظ بها».

ثم صمتت قليلا ليُمسك هو بيديها فى شيء من بث الثقة أكثر فى قلبها وليزيدها طمأنينة ولكنها سحبتها بسرعة وضمتها إلى يدها الأخرى ناظرة له فى خجل ثم تحيد النظر عنه وسرعان ما ترجع إليه ثانية قائلة له:

«أحبك».

الفصل السابع

قاعدة «٢» :

- اقتـــل ما تبقى من ماضيك بلذة الحب، فلم يعد هناك مجال للتُرهات.

(٢٨ أغسطس ١٩٩٨)

«كل هذا يا يوسف»

قالها أوس فى غيظ شديد وهو يتجول لا يهدأ فى البيت حتى قُرع الباب، يذهب إليه ويفتح الباب، فيلقى يوسف وهو منهك القوي، وجهه شاحب اللون.

فزع أوس لما رأى بيد أنه قال فى عجالة:

« أين ابنتى؟»

(٢٨ أغسطس ٢٠٠٢)

« من؟»

قالها أوس حينما قُرع باب غرفته التى هى فى بيت أبيه، ثم يجد أن أباه من قرع الباب ووجهه شاحب اللون قائلا له والدمع يفر من عينيه:

«قد ماتت والدتك».

«صدمتها سيارة وماتت».

قالها باضطراب شديد ثم أكمل :

«قبل أن أطلق على سلمى أى رصاصة».

اهتز جسد أوس حتى سقط على الأرض من هول الصدمة، تلعثم لسانه وعجز عن الكلام، قد ماتت ابنته بدلا من زوجته الخائنة، أكان مُقدرا لها أن تفتدى بطهرها عُهر أمها. وما إن غشى على أوس حتى هرب يوسف وتركه على الأرض.

«إلى أيـن أنـت ذاهـب؟» قالها والـد أوس له فى شيء من الحـزم فينظر لـه بعينـين باكيتـين وقلـب حزيـن يرتجـف مـن شـدة البـكاء قائـلا:

«أليس لى الحق أن أدفن أمى؟»

– «تقتلهـا بحسرتهـا عليـك، ثـم تذهـب لتدفنهـا، سـتبقى هنـا وحـدك ولـن تخـرج، سـتبقى فى غرفتـك».

(١٥ يناير ٢٠٠٤)

«هذا ما كنت أخشاه»

قالهـا أوس وقـد تغـير وجهـه مـا بـين الفرحـة الشـديدة إلى حـزن قاتـم، الدمـع يـكاد أن يترقـرق مـن عينيـه، مضطـرب قلبـه ودقاتـه متزايـدة إلى حـد بالـغ، فتقطـع هـى توتـره قائلـة:

«وهـل هنـاك ذنـب عـلىَّ حينـما أحبـك، أم أنـك متعجـب مـن قـصر المـدة».

– «ليس عليك ذنب، ولكن أنا لا أملك شيئا كى نحيا به»

فتنظر له ياسمينا نظرة حنين قائلة له:

«بل لديك كل شيء».

– « نعـم، بيـت فى أرقـى الأحيـاء، ووظيفـة تضمـن لنـا عيشـا آمنـا، ومـالا وفـيرا».

قالها باستهزاء تام فقاطعته قائلة:

– «إن الزواج ليس هذا، الزواج حب ومودة وتراحم».

- «وبـأى شـئ سـنطعم بالحـب أم بالمـودة، أم أنـك سـتضيفين لنـا صنفـا آخـرا؟»

تنظر إلى الأرض منكسة الرأس ثم تهم قائلة فى حمية :

«يا أوس أنا أريدك أنت لا أحد سواك».

- «مـن أيـن خلـق كل هـذا الحـب ومتـى؟» قالهـا بعصبيـة شـديدة مقاطعـا إياهـا فى كلامهـا. «منـذ أن نطقـت بهـا يـا أوس» .

ثـم ينسـال الدمـع مـن عينيهـا فى حالـة مـن الضعـف التـى لا تحبـه، وهـو أيضًـا لا يحـب أن يراهـا كذلـك، انتقـل إلى جوارهـا ويمسـح بيديـه دموعهـا فى حالـة يغلـب عليهـا الحـب، هـمّ لينطـق بكلـمات إلا أنهـا منعتـه هـذه المـرة مـن أن يتلفـظ بـأى شيء.

عانقتـه، عانقتـه بـكل مـا أوتيـت مـن قـوة، والعنـاق دائـما يقـال فيـه كل شـعور كامـن فى الإنسـان لايسـتطيع أن يخـرج إلا بالعنـاق.

ثم تركته شيئا فشيئا فقال لها بفكاهته المعتادة:

«الناس ينظرون لنا وكأنهم لم يروا «تيتانك»».

فضحكت بشدة فى وسط ذاك البكاء ثم قالت :

«أحببـت فيـك كل شيء؛ فأنـت تشـبه والـدى فى كل أمـر تفعلـه معـى حتـى فى مسـح أدمعـى ولكـن تبقـى شـئ واحـد فقـط قـد فعلتـه أنـا.. الاحتضـان».

ثم تنظر مبتسمة له وهمت لاستكمال حديثها قائلة:

«ليس احتياجا.. لا بل كنت أرغب فى رجل مثله منذ صغرى حتى أتيت أنت..... أحبك وكفى، أحبك ولا أرغب فى حياة ترف، سيكون حبك مالى الذى أغتنى به أما لهذا الحب والمشاعر الجياشة أن تكفيني، أمّا يديك فستكون سكني، سأسكن فى عناقك لى».

فتمسك هى تلك المرة بيديه وتقول:

«سأذهب أنا لوالدك وأخبره بكل شيء لعله يستجيب، إن كيدهن عظيم يا شاعرى».

«كيف للقلب أن يصمت فى مثل هذه الأوقات، ولا يعم ضجيج نبضاته وصخبها الكون كله». «الراوى».

نزلت من عينيه دموع توحى بالفرح، لم يستطع تبادل الحديث معها لأنه أحس للحظة أن الله قد أرسل له من ملاكه "ياسمينا". عانقها هو الآخر بشدة ثم همس فى أذنها قائلا:

«الآن لا أحد أفضل من أحد، كلانا احتضن الآخر».

ضحكت بشدة ثم قالت:

- أما تخاف الناس وأعينهم؟!
- «لا أخاف أحدا».

وحينما تركها وحاد بالنظر عنها رأى سلمى تنظر فى دهشة، فتأتى إليه قائلة :

– «كنت لا تجيد العناق».

وكأن نارا تخرج من أم عينيها وهى تتطلع لتلك التى قد حلت مكانها واعتنقته بكل هذا الحب.

– «من الممكن ذلك، ولكن الثابت فى هذا الحوار أنك كنتِ تجيدينه أكثر منى، فما كان عناقك لرجل واحد، كما يقولون «خبرة».

فحادت بوجهها الذى قد شع لهبا من غضبها الشديد، تعصر قلبها تلك الكلمات التى قد قالها أوس لها ولا مفرّ من بضعة دموع زائفة فى هذه الأحايين.

«لأنه يعرفها جيدا يا صغيرتى ويُدرك أنها خائنة وكاذبة، أكملى وسأوّضح لكِ الأمور المُبهمة التى ستأتي، أكملى يا صغيرتى». «الراوى».

ثم قال :

«بارعة فى كل شيء، حتى التمثيل بأنك باكية تجيدينه جيدا».

فانصرفت عنه فى شيء من الغيظ فأكمل:

«أرسلى سلامى إلى قبر هند، إن كنت تزورينها».

اتضحت ملامح الغيرة على ياسمينا حينما شاهدتها فأمسكت بيد أوس ليتنبه ثم قالت له:

– «سلمي، أليس كذلك؟»

– «نعم سلمي، سامرى هذا العصر». قالها بشيء من الهدوء.

- «لما أطلقت عليها ذلك».
- «لأنها أغوت الناس بعبادتها فأصبحت السامرى والعجل معًا».

(يناير ١٩٩٣)

«هند، سأسميها هند»

قالها أوس فى حالة من الفرح الشديد لأنه قد أتته امرأته بأول مولود له، وكأنه قد صعد للسماء من شدة السرور، وأتى بنجم منها وجعله سوارا ترتديه ابنته.

«لِمَ يا أوس» قالتها سلمى بفرح هى الأخرى.

- «هذا اسم يحبه العرب « ثم نظر أوس لها وابتسم حاملا ابنته وقبّل سلمى من جبينها ثم أمسك بيد هند قائلا:

«أخشى أن أن أحبك أكثر منها».

(١٨ يناير٢٠٠٤، التاسعة صباحا)

يُقرع الباب بشكل مبالغ فيه وأوس كان يرهب ذلك كعادته، إلا أنه ذهب إليه وفتحه هذه المرة بجرأة غريبة، فيدخل رجل من الباب يبدو فى أواخر العقد السادس من عمره وينظر للغرفة بشيء من الاستحقار ثم ينظر صَوب أوس ويقول:

- «هل هذا مكان يليق بك».

– «ليتنى لم أجد أحدا خلف الباب كعادتى». قالها وهو يتجه نحو فراشه فيجلس عليه وقد وضح على وجهه ملامح غريبة، حزن مشوب بالقلق ثم يكمل قائلا:

– «آتِ ما عندك».

– «كيف تجرؤ وتحدثنى هكذا، ألست بوالدك».

– فيقطع أوس حديثه بصدمة كبرى:

«كلّا، أنت قد أزلت هذه الفكرة من ذهنى منذ سنين طويلة».

فتظهر ملامح الحزن الشديد على والد أوس فهمّ أن ينطق ولكن قد قاطعه أوس قائلا:

«من المؤكد أنك ستقول لى مثل كل مرة إننى السبب فى موت أمي، وإنها ماتت حسرة عليّ، أليس كذلك، لا يا عزيزى فقد ماتت حسرة عليك أنت لأنها لم تجد فيك الشخص الذى أحببته، وكلامك فى الروايات التى كنت تخطها واصفا المثالية البحتة لم تجده أمى فيك، لأنك غير ذلك».

هنا قد اهتز جسد والد أوس وأخذ قلبه ينبض بسرعة غريبة، بَيدَ أن أوس لم يرحم ذلك فأكمل قائلا:

«الروائى العظيم محمد كريم، مخالفا كل كتاباته وأعماله الأدبية الرهيبة، أتعرف يا هذا أننى رغم كل ذلك، أحبك ولا أدرى لمَ أفعل تلك الجريمة؟»

فيذهب والد أوس وقد ابتلت عيناه بالدموع وأخذت يداه ترتجفان بعد كل هذا الكلام المرير، ولكنه حاول أن ينسى ذلك بكلمات وفتح على نفسه بابا آخر تهب ريحه داخل قلبه فتقتلع منه شعوره، فقال لأوس:

«ولكنك مُخطيء» .

قالها بصوت خافت فضحك أوس ضحكات عالية ثم التفت إليه وقال:

«وداليا أيضًا كانت مُخطئة، أنا لن أستطيع مسامحتك الآن، ولكنى أعدك بأننى سأفعل، فعلى كلٍّ أنت أبى» .

(٣١ أغسطس ٢٠٠٢)

« اتركه يا أبى يظل معنا» قالتها داليا لوالدها وهو يحاول أن يخرج أوس من البيت».

فقال لها: «ليس له مكان بيننا، إن وجوده خطر علينا» قالها والد أوس.

«أتوسل لك يا أبى دعه، وأعدك أنه لن يفعل شيئا يغضبك، أقسم لك بهذا يا أبى وأضف على ذلك أننى لا أطيق العيش بدونه».

ظهر الغضب على وجه والد أوس وانهمر فوقها ضربا، حاول أوس أن ينقذ أخته فلطمه والده على وجهه لطمة جعلته يصطدم بالباب مما أدى لفقدانه لذاكرته من أثر هذه الصدمة، أما داليا

فقد أودت لطمات والدها المتكررة على صدرها ورأسها بحياتها وانسال الدم من فمها معلنا خروج روحها الطاهرة.

(١٨ يناير ٢٠٠٤، التاسعة صباحا)

«الآن قد سمحت الحياة لى بفرصة للسعادة مجددا مع هذا «الأوس»، لكم يحبني، وأنا أعشق جنونه وولعه بي، أشعر بأننى ابنته وأعلم أنه سيحتملنى على أى حال أنا عليه؛ لأننى ابنته وحبيبته وصديقته وكل شيء فى حياته، لذا فيجب على ألّا أضايقه وأن أعمل على راحته، يفكرنى كثيرا بأبى فهو يشبهه كثيرا، ولعلّ حبى ذلك هو الذى أعطى لى الفرصة بأن أصفه وأمثله بأروع شخص فى حياتى الذى هو أبي.

«أوس يا حبيبى كن لى فى شدتى وضيقى وشاركنى لحظات فرحى، آه لعل أباه يصالحه على ما يرتضونه الآن من المؤكد أنهما الآن يتحاوران».

قالتها ياسمينا فى نفسها حينما كانت تجلس فى غرفتها تتأمل طريق المستقبل التى ستسيره مع أوس، منتظرة مكالمة أوس بعد فراغه من مقابلة أبيه.

صمتٌ تام يعم الكافيه، نظرات ياسمينا حائرة لا تثبت فى مكان واحد، أما أوس فكان مبتسما ناظرا إليها فتقول له ياسمينا:

«لم تبتسم هكذا، أتعقل ما قلت؟!»

– «نعم الإنسان إذا لم يدرك أنه كان مُخطئا واعتمد على مسامحة الآخرين فلن يرجع عن أخطائه أبدا».

فتنظر له ياسمينا بإعجاب وكأن كلامه يشع حكمة، تتأمل وجهه بابتسامتها الرقيقة، تتطلع إلى محاسنه وكأنها لم تره من قبل فيقطع تركيزها فيه قائلا:

«لم يأتِ إلا واعظا وأنا أكره هذا الدور لأنه فاشل فى تمثيله جدا» .

– «وماذا سنفعل الآن؟»

قالتها ياسمينا بصوت خافت فردّ قائلا:

« سنتزوج».

الفصل الثامن

قاعدة «٣»

«لا تجعل أى عقبة، مهما كانت، تسيطر على مشاعرك، اسبح فى بحر أحلامك، ولتكن مؤمنا بمعتقداتك»

(٢٠ يوليو ٢٠٠٢)

«متأكد من أن هذا المكان آمن يا...؟».

قالها أوس ليوسف الذى بجواره بعد أن أخرجه أبوه من بيت إثر موت أخته، فأخذه يوسف إلى هذا المكان ليجلسه فيه ويكون له مسكنا.

« نعم، وسوف آتى إليك كل يوم بالطعام والشراب وقلت لك ألف مرة أن اسمى يوسف».

– «حسنا، هيا بنا لنصعد إليه».

قالها أوس وهو ينظر إلى مدخل ذلك البيت وما به من أشياء غريبة فصعد إلى الغرفة قائلا ليوسف:

«مكان قذر، ولكنى سأتأقلم معه حتما، هنا فى هذه الغرفة الحقيرة».

فيضحك يوسف بصوت عالٍ ثم يقول له :

«جميل أيها الشاعر، غدا ما يُدعى بالنادى الأدبى سنحضره لمناقشة ديوانك الذى ألفته فى المصحة أيها الشاعر المريض».

فضحك أوس بصوت عالٍ ثم يقول:

«حتّى أنت صدّقت بأننى كنت مريضا، هذا جيد.. إن كان أخى قد صدّق ذلك، فحقّ على المحكمة تصديقها».

– «أكرمه الله وكيل النيابة هذا».

(١٢ ديسمبر ٢٠٠٤. منتصف الليل)

يفترش أوس الأرض فى حجرة خالية من الأثاث، كل ما بها أوراق وأقلام فقط، مُرتديا زيًا أحمر قضبان بابها يقطع النور الداخل إلى الحجرة ثم يقول :

«الذاكرة أحيانا خائنة يا عزيزتى تقود إلى غير صواب، تذكرنا أحيانا بأشياء لا نريدها أن تأتى حتى فى مخيلتنا، أما الوهم فلمريض البارانويا وهم أعظم».

المريض النفسى يا عزيزتى آخر من يعلم بأنه مريض، وهو إذا علم لا يصدق وإن مات بمرضه فقد مات دون أن يعرف، والبارانويا خيالاتها كثيرة، لذا يا ابنتى فقد قصدت أن أشرحها لك كما شُرحت لى».

(٢١ يناير ٢٠٠٤، الثالثة عصرا)

«أوس، عندى أخبار لك غير سارة بالمرة». قالتها ياسمينا التى قد فتحت باب غرفته مسرعة وقد ظهر على وجهها الحزن الشديد الذى قد امتزج ببضعة دموع على خديها، فيقطعها أوس قائلا:

«غفر له الله ذنوبه، فقد كان رجلا جلفا لا يفقه شيئا فى المودة والحب، على كُلٍّ، هُناك أخوان آخران لي، أحدهما مات والآخر قد شبّ ونمى بقدر يجعله قادرا على مهمة دفنه».

قد ذهلت ياسمينا مما قاله لها أوس، ومن البرود التام الذى يظهر من كلامه ثم قالت له:

– «كيف علمت؟»

فتبسم لها قائلا وقد مُلئ ثقة أكبر وقال :

«لمعة عينيك كلمعة أى عين جاءت وأخبرتنى بالموت».

ثم يجلس على فراشه جِلسة القرفصاء قائلا:

«سأذهب ليلا فى العزاء، ليس لى الحق أن أحضر دفنته».

ثم يضحك باستهزاء ويكمل:

«أأقتله حسرةً علىَّ، وأذهب لدفنته؟!»

ثم يصمت قليلا ناظرا بأسف بعدما امتلأت عيناه بالحسرة ثُم يُكمل:

«ماذا عساى أن أفعل، لم آخذ القسط الوافر كى أستطيع مسامحته، ولكننى أعدك سأحضر العزاء ولكن ليس وفاء له، لتلك الدموع التى قد انهمرت من عينيكِ فقط».

فتنظر له فى ذهول تام، مبتسمة بعض الشيء، قد نسيت الموت، وتارة أخرى حائرة فى أمره، قد أصابه مسُّ العشق، فينهض إلى جوارها ويمسح دموعها بيديه وبالأخرى يصفف شعرها الناعم الكثيف، ثمّ يُحوِّط بيده عنقها ويعانقها فى شيء من بث الطُمأنينة والثقة أيضًا ثم يتلفظ قائلا:

«سأذهب لأننى أفضل منه يا حبيبتى».

مـرة أخـرى تنسـى الأمـر، فهـو لأول مـرة يتلفـظ بلفـظ «حبيبتـى» عـلى الرغـم مـن أن كلامـه كلـه ينطقهـا حتـى وإن لم ينطقهـا هـو، بسـطت هـى الأخـرى يديهـا كـى تتشـبث بـه، فعانقتـه وصمتـت.

(٢٠ ديسمبر ٢٠٠٣)

أهذا كل ما تريدينه؟!

قالهـا يوسـف لسـلمى التـى تجلـس بجـواره فى بيتـه واضعـة رأسـها عـلى كتفـه، فتنهـض هـى وتسـتند بيديهـا إلى كتفـه وتقـول:

«نعم، طَرقُ الباب دون أن يجد أحدا».

فأشـعل سـيجارته وأخـذ يتنفـس دخانهـا ويخـرج منـه أفـكارًا شـيطانية فى حالـة صمـت قد طالت عـن حدّها، ثـم التفت إليهـا قائلا:

«وما الذى سيحدث بعد ذلك؟»

– «لا شيء، فلتجعلـه يهـرب مـن غرفتـه مـن خـلال السـلم بعـد أن يطمئـن عـلى أخيـه».

ثم تضحك بشيء من السخرية ثم تُكمل :

«وأنـا أنتظـره فى الأسـفل بطلقـة مدويـة تخـترق قلبـه، كـما قتـل ابنتـى مـن قبـل».

ارتبك يوسف قليلا ثم يقول لها:

«أما يكفيكِ أنك قد أصبته الجنون».

(٢١ يناير ٢٠٠٤، ليلا فى العزاء)

يقف أوس بجوار أخيه «عمر» الذى لا يدرك شيئا عن أوس فما زال صغيرا فى الثامنة عشرة من عمره، يستقبل الناس المؤدين لذلك العزاء، فرِحٌ جدا للقياه، فلكم منعه أبوه أن يبحث عنه، ولكم ضلله يوسف كثيرا ولكنه كان يحارب للقياه ولكنه فشل.

وعلى حين غفلة يدخل يوسف العزاء يلقى السلام عليهما.

«ألم يَمُت؟»

قالها أوس فى نفسه حينما رآه أمامه، أما عمر فاتخذ من يد أوس حماية له حينما أطلّ يوسف أمامه فدعاه عمر أن يجلس جوارهما إلا أنه رفض وقرر أن يجلس بالداخل.

ابتسم له أوس قليلا وأومأ برأسه بالموافقه دون أن يتلفظ بشيء، وأخذ يراقبه خِلسة فى العزاء ويوسف لا يفعل شيئا إلا احتساء القوة، وحينما فرغوا منه، همّ يوسف بالرحيل إلا أن أوس سلّم عليه وقال:

«أخبرنى بِمَ يشعر الموتي، كى أطمئن على أبى؟»

قالها بشيء من السخرية فقال له يوسف :

«لا أعرف، ولكنهم لا يشعرون بشيء طالما كانوا بُلهاء».

فينظر له أوس نظرة إعجاب عاقدا أحد حاجبيه وقال:

- «دعنا نراك، فلكم اشتقت إليك».
- «قريبا، سترانى قريبا».

وما إن رحل يوسف إلا أن أوس التفت لعمر قائلا :

«أتعرف فى أى مكان يسكن؟»

- «لا فهو يغير منزله من وقت لآخر».
- «حسنا، فلتتبعه إذن، ولتعرف إلى أى مكان هو ذاهب، ولتضع نفسك فى مراقبته تلك الفترة».
- «سأفعل يا أخى».

«لن يتم تأجيل الزفاف»

قالها أوس بعصبية شديدة لياسمينا، ثم يكمل قائلا:

«أنت تعرفين جيدا أننى لا أحب أن يرتفع صوتى بهذا الشكل عليكِ، ولكننى شغوف أن يجمعنا بيت واحد نبُثُّ من الحب ما شئنا » .

ثم ينظر بأسف ويتركها ويسير بعيدا بعض الشيء، علامات الألم تظهر على وجهه فى شيء من الحزن القاتل فيعود لها قائلا:

«فكّرت فى الأمر أكثر من مرة، أخاف أن أظلمك معي، لأنك لن تصبحى أما، ولكنى أحبك وإن رحلتِ سأموت وأنا مازلت على قيد الحياة، ضعى لنا حلاً أرجوكِ».

فتبتسم فى شيء من الحب الواضح على وجهها وتقول:

«مَن قال إنى لست أُما، أنا أمك ألا يليق بى».

«قد علمك إذن؟!»

يشع الغضب من وجه سلمى وهى تقول تلك الجملة، الشر يكاد يخرج من عينيها فيقطعها يوسف قائلا:

– «لقد حان وقته، سأجعله يلقى حتفه قريبا».

قالها يوسف فى غيظ شديد فتبتسم سلمى قائلة له :

«لا ليس هو من سيلقى حتفه».

«على الرغم من أن فارق السن كبير للغاية، ولكن يليق بك يا حبيبتى».

قالها أوس لياسمينا فى ابتسامة عارمة فتنظر له بنظرتها الفاتنة، دامعة العينين بعض الشيء وتقول له:

«أحبك، وعاهدنى ألا تفارقنى ثانية».

– «وهل فارقتك؟»

– «نعم لم تأتنى فى حلمى ليلة أمس» .

ما زالت سلمى فى توترها الواضح عليها وقلقها الشديد، تفكر فى كيفية فعل ذلك، كأنها أرادت أن تشب النار فى وجه أوس وياسمينا كما أرادت أن تكون هى تلك النار لتحرق قلبهما وتمزقه بلظاها، أما يوسف فهو لا يبالي، ينتظر رهن إشارتها للتنفيذ فحسب، كأنه رجل متمكن قد اعتاد القتل.

– «على الرغم من أنه لم يقتل من قبل يا صغيرتى». «الراوى»

(١٥ أغسطس ١٩٩٨)

«ليس موعدك».

قالها يوسف لسلمى التى قد فتحت باب بيته بمفتاحها التى تقتنيه داخل شنطتها، فتقترب من يوسف وتضع يديها على كتفه وتشبكهما ببعضهما خلف عنقه قائلة :

«كل ما فى الأمر أننى اشتقت إليك».

قالتها بنبرة يغلب عليها التدلل قليلا.

«ولكن يجب عليك الذهاب».

قالها يوسف والحذر يشب من عينيه.

«حسنا، سأرحل وكننى حقا مشتاقة للقياك».

ثم تقترب منه أكثر قائلة :

«أحتسى قهوتى أولا».

يذهب لتحضير القهوة وهو يفكر كيف سيوقف شكوك أوس المتزايدة فى الفترة الأخيرة فى أمر علاقته مع سلمي، ثم راودته بعض الأفكار لم يعطلها إلا أن القهوة قد فسدت، فقام بعمل أخرى حتى جاءته الفكرة الأخيرة، فكرة شيطانية ينتهى بها من أوس ويحظى بسلمى دون أى خسارة.

«يجب علىَّ أن أحكم خطتى جيدا».

قالها يوسف مخاطبا نفسه ولكن القهوة فسدت تلك المرة أيضا.

«نحن هنا»

قالها عمر حينما دخل على أوس وياسمينا وكانت واضعة يدها على يديه، فيرد أوس قائلا :

«منذ متى؟»

– « الآن وربى.»

– « أصدقك بدون قسم.»

ثم يلتفت لياسمينا ويقول لها :

«اذهبى أنتِ الآن».

ويعود بالنظر إلى عمر قائلا:

«أمّا انت، فبِمَ أتيت؟»

تخرج ياسمينا بعد نظرات إعجاب طالت أحست فيها أنه قد استعاد شخصيته الأولى بغض النظر عن كثير من الأعراض التى ما زالت باقية ولكنها خرجت بأريحية تامة.

«يسكن فى الحى الثالث منزل رقم ٨ ».

– «رائع، نجحت مهمتك، ولكن أخبرنى لِمَ لَم تكن حزينا على والدك».

فنظر له عمر وقال بصوت حزين متهدج :

«لَم أنسَ داليا، فقد ماتت أمام عينى ولم استطع أن افعل شيء».

يصمت قليلا ثم يقول :

«كنت صغيرا لا أفقه شيئا على الإطلاق، فما كان منى إلا أن هرولت إلى الشارع لا ألتفت إلى اليمين أو اليسار حتى سقطت على الأرض».

ضمه أوس إلى صدره واحتضنه بشدة بيد أن عمر أخذ يبكى قائلا:

«من هذه اللحظة وأنا أشعر أننى مريض يا أوس، مريض بكره أبى».

الفصل التاسع

قاعدة «٤»

«إذا ضللت الطريق فلا تهتدى إلا بقلبك، ولا تنسَ أن الأشياء تنتهى إذا حان موعدها».

«ذهبت إلى الغرفة فلم أجدك هناك، فجئت إلى هنا».

قالتها ياسمينا لأوس حينما أتته فى بيت أبيه، فيحيد بالنظر وأخذ يخرج من تفكيره ببطء قائلا :

«أتعلمين؟ أحيانا الموت يكون حياةً لأناس آخرين، بيت وإرث ضخم يمكننى أن أجعل منه مشروعا عظيما مثل مكتب ترجمة».

فتبتسم له ياسمينا قائلة :

«كل شيء يأتى بالترتيبات الإلهية، ولكن ماذا عن يوسف. ألم تقل بأنه مازال على قيد الحياة؟!»

– «نعم ولكنّ والدى قبل أن يموت قد ترك لنا الميراث بوديعة بنكية كلا على حدة، أستطيع إذن كسر تلك الوديعة».

فيصمت قليلا ثم يقترب منها ويكمل:

«أما الشيء الأهم الآن أن زفافنا قد قرب».

ابتسمت خجلا ثم نظرت إلى عينيه حتى كاد أن يعانقها إلا أن عمر قد خجل فينظر له أوس قائلا :

«مرحبا بهادم اللذات، كيف حالك؟»

فيضحك عمر بشدة ويقول :

«سأترككما فى التوِّ، ولكن ليس قبل أن أخبرك أننى قد حجزت القاعة لحفل زفافكما».

فيضحك أوس ويقول :

«مراهق».

ثم ينظر لياسمينا التى قد تفاجأت بكلمات عمر ويقول لها : «وأنت أيضًا مراهقة»؟!

ثم يحتضنها.

«من الرائع أن تراقب من يراقبك وهو لا يشعر».

قالها يوسف لسلمى وهى مندهشة للغاية لما قال ثم تنهض قائلة :

«وماذا وجدت من ورائه أيها الثعلب؟»

يضحك بصوت عال ويقول لها :

«زفاف ذبيحين بعد شهر من الآن».

فتذهل سلمى وتترك قبلة على خده وتقول له :

«الآن أحبك».

- «وعامان على هذا الفراش كانا تفكيرا أم شكا فى ذلك؟»
- «كم أنت وقح!»

«أما زلت هنا؟!»

قالها أوس لعمر الذى كان يبتسم لعناق أخيه لياسمينا ثم أكمل أوس قائلا:

«اخرج أيها المراهق ».

فتضحك ياسمينا فى خجل ناظرة لعمر بطرفها فيقترب أوس منه يقول:

«أرأيت أيها الأبله، جعلتها تخجل».

– «يا قرة عينى».

قالها بسخرية لأوس فيضحك أوس ويضربه على رأسه ويقول : «اخرج وإلا قطعت رأسك».

أخذت سلمى تفكر وتفكر حتى لفظت :

«زفاف ذبيحين، تعجبنى ألفاظك» .

وكأنها مثل الطاعون الذى إذا حلّ ببلد فتك بما فيها من خير، ثم تكمل :

«ولكننى لم أعد أرغب فى موته، أريد رأسها هى» .

– «ولكن هذا جنون» .

قالها يوسف فى شيء من الفزع ناظرا لها بحدة فقاطعته قائلة : «رصاصة واحدة تقتل اثنين» .

ثم تنهض وتضحك بشيء من الهستيريا قائلة :

«رائع، خطة محكمة» .

فتصمت وتلتفت ليوسف وتقول :

«فى زفافهما» .

(٢١ أغسطس ١٩٩٨)

يفكر يوسف فى الذى سيقوله لأوس وكيف سينفذ خطته بنجاح، أحيانا يضل الناس فلا يجدوا سوى الحيل الشيطانية كما يسمونها، ولكن الشيطان نفسه برىء منها، ثم اهتدى إلى قتل الطفلة، ولكن كيف وهى تأتى معها ولا يوجد أى مخرج، وأنا لا أرغب فى أن يأتى أوس هذا إلى هذا المكان.

«إيهِ يا أفكاري، ما الذى حدث بك..... وجدتها».

همَّ بالقيام من على كرسيه قائلا :

«سأجعله يأتى إلى هنا ولكن لن يقتل سلمى».

فأخذ يتجول فى المكان ويشرح لنفسه الأحداث الكاملة، وأنه سيضع مخدرًا قويًا لسلمى فى كوبها وبعد أن يغشى عليها سيسكب الدماء حولها على أنها ماتت وقتها ستكون الطفلة معلّقة على سور النافذة، وفى نفس الوقت سيحاول أوس أن ينجد الطفلة فلا يستطع، لأن الحبل سيكون ضعيفا للغاية، ما إن يلمسه أوس حتى يهوى بالطفلة ويقال إن أوس هو من ألقاها من النافذة، ولكن علىَّ أن أحكم خطتى أكثر من ذلك، يجب علىَّ أن يصيبنى مكروه أنا أيضا، ولا سيما من بعض الدم ينسال من رأسي، وقتها سيذعر أوس ويهرب فزعا وسأحظى بسلمى.

«مبارك عليكما الزفاف، أخى».

قالها عمر لأوس أمام البيت وكانا صاعدين للسلم بعد الزفاف فيداعبه أوس قائلا :

«هل اتفقت مع أحد أصدقائك لتقضى الليلة عنده».

فيضحكون جميعا ثم إن عمر أومأ برأسه أن نعم.

خرج عمر وأغلق الباب من خلفه إلا أنه أخذ يتمهل قليلا فى سيره مبتسما وفرحا بأخيه الذى قد عوّضه عن أبيه وحياته الصعبة التى قد عاشها معه إلا أنه قد سمع صراخ أوس:

– «ياسمينا».

فتح عمر الباب فوجدها غارقة فى دمها ولاحظ شخصا آخر يهرب من الباب الخلفى للعمارة، إنه يوسف، وقد ذهل من هذا المنظر البشع وهى تنتفض بين ذراع أخيه مستلقية على قدميه قد لطخ فستانها الأبيض النقى بدمائها الطاهرة، بريئة ستقول يوم القيامة: ربِّ لم قتلت؟! تمد يدها نحو عنقه ببطء شديد كأنها تزيل عنه الحزن، ولكن إزالة الحزن فى هذا المقام حرام، تودعه بدموعها التى تنسال من عينيها ببطء شديد بدلا من ابتسامتها التى اعتاد على أن يصبح ويمسى بها والتى قد أصبحت جزءا من سعادته أن يراها يوميا، أخمدت تلك الابتسامة ثلاث طلقات نارية واحدة استقرت فى القلب، وفى لمح البصر حدث كل ذلك، وقبل أن تقبض روحها نظرت إليه بوجه شاحب اللون وتنهيدات متكررة قائلة له:

– «أحبك».

ثم أغمضت عينيها بلا عودة لفتحهما من جديد، هنا انتهى كل شيء فى علاقة لم تطل كثيرا، ولكنها ستبقى إلى الأبد محفورة فى

ذهنه، وكأن قدره حتم عليه بأن يكون وحيدا بلا حبيبة فى تلك الحياة المريرة.

ينزل عمر بركبتيه على الأرض واحتضن أوس وكان يصرخ ناطقا باسمها، قد شهد أوس ذلك المشهد من قبل، ولكنه كان معكوسا، فالحبيب هو من قُتل، أما هنا فرُوحه هى التى قُتلت.

(بعد الحادث بعشرة أيام)

يفتح أوس باب غرفة وينظر إلى فراش يرقد عليه رجل وامرأته ثم يقول:

«الشيطان وزوجته على فراش واحد».

ثم يضرب بيده على رأسه مسرعا ويقول :

«آسف، أدرك أنها ليست زوجتك، بل ما يسمونه فى الأفلام العربية القديمة بعشيقتك».

وقبل أن ينطق يوسف بكلمة واحدة أطلق أوس النار على سلمى ثم يلتفت ليوسف ويقول :

«ما كانت لتحظى فى موتها بأكثر من ذلك، أما أنت فتعالى كى نعقد صفقة معًا».

يهمهم يوسف فى كلامه قائلا :

«أوس، أنت لا تفهم شيئا».

– « نعم وأنا قد جئت اليوم كى أفهم كل شيء، لأن القضاء هذه المرة لن يرسلنى إلى مصحة نفسية بل إلى الإعدام».

يصمت قليلا بضحكات خافتة ثم يكمل:

«قتل رجل وامرأة كانا على فراش واحد وليس بينهما أى صلة، هكذا سيكتب فى الصحف».

ثم يمسك المسدس فيطلق النار على ذراعى يوسف ثم قدميه ويقول معقبا: «اختراع مذهل كاتم الصوت هذا» .

ثم يذهب ويربطه بالملاءة فى سريره وكأنه أضحى كالفأر جبانا يخشى من صاحب البيت أن يضربه على رأسه فيلقى مصرعه، وأخذ أوس يكسر فى المنضدة الخشبية ويأتى بقطع الخشب المكسور ويقذفها على يوسف ويقول :

«أخطأت تلك المرة، كما أخطأت طلقاتك من قبل يا أخى».

هنا أضحى يوسف لا يستطيع التحدث لما به من ألم رهيب فيكمل أوس ويقذف بأخرى فتأتى فى منطقة مؤلمة للغاية ويقول :

«آسف يا أخي، لا تتألم هكذا كى لا أشعر بالذنب، فأنا أعلم أن هذه الضربة لن تجعلك قادرا على الإنجاب».

فينهض أوس من على كرسيه قائلا :

«لقد سئمت هذا».

ويمسك الملاءة ويغشى بها وجه يوسف قائلا :

«هكذا كنت سأقتل سلمى من قبل ولكنك تأخذ مكانها الدور الآن».

ولقد مات يوسف.

(١٩ ديسمبر ٢٠٠٤)

يجلس أوس ومعه عمر فى زيارة عمر له فيقول له أوس وكان حاملا لورق كثير :

«خذ هذا الورق واحتفظ به جيدا وأعطه لابنتى يا عمر هذه مذكراتى قد سميتها باسم ابنتى «ياسمينا» وقد اتخذتها حبيبة لى فى خواطرى لأننى لم أعشق غيرها، قل لها يا عمر إننى قد قتلتها فى مذكراتى كى لا تشهد على جرائم أمها وعمها يوسف وإننى قد غيرت اسمها لهند كى تكن لها ماهية أخرى غير ياسمينا صغيرتي، أخبرها يا عمر أننى أحبها جدا لدرجة الجنون وأود العيش معها ولكن القضاء حتم على أن أُعدم بسبب جريمة قتل سلمى التى والله ما قصدت قتلها، كنت فقط لا أرتضى الخيانة وهذا كل سبيلي، قل لها يا عمر بأننى ألفت كل هذه الأحداث لأننى كنت أتمنى أن يحدث ذلك على المحمل الأسوأ، وأننى ما قصدت تزييف الواقع قط، وقل لها آخر شيء، إننى لا أريدها أن تأتنى إلى هنا فى زيارة لى لأننى أكره أن ترانى هكذا، وخط بقلمك الجميل ما كتبته فى المذكرات فى صياغة رواية وأرويها لابنتى فأنا لا أجيد فن الرواية، معك أحداث وهيكل روائى فصغه أنت.

الفصل العاشر

«ولنا فى الخيال حياة»

(١٨ يناير ٢٠٠٠)

«ياسمينا حبيبتى أين أنتِ»

قالتها داليا لياسمينا التى قد اختفت عن الأنظار.

«أنا هنا يا عمتي، عمى عمر يلاعبنى».

فارتاحت داليا بعض الشيء واطمأنت ثم دعتها لتأتيها قائلة:

«ياسمينا حبيبتي، إنى أعلمك كلمات احفظيها جيدا، أعلم أنك مازلت فى السابعة من عمرك ولكننى أعلم بأنك ستتذكرينها يا عزيزتى حينما تكبري، فاعملى بها».

- «أخبرينى يا عمتى ماذا تريدين».
- « إنى أمنحك وصية والدك لك، كونى لنفسك يا عزيزتى ولا تجعلى أحدا على مقربة منك إلا بإرادتك، ولا تنفرى أحدا من دائرتك إلا بإرادتك أيضا، وليكن لك كيان خاصا بك دون أن يَمَسَّهُ أحد، كيان قوى لا أحد يستطيع أن يهزمه أبدا، هل سمعت ما قلت؟»

فتنظر لها هذه الطفلة بشيء من البراءة المتسمة على وجهها قائلة لها:

«نعم، ولكننى لم أفهم شيئا»

فتبتسم داليا قائلة :

«ستفهمى يا حبيبتي، ولكن ليس الآن».

(٢٢ ديسمبر ١٩٩٨)

بعد أن انتهى القاضى من الجلسة وحكم على أوس بالسجن لمدة عام، ونفر المحامى الذى يدافع عن سلمى التى قد شرع أوس فى قتلها، وأقسم أنه سيطعن فى الحكم، اتجهت داليا إلى أوس قائلة له:

«لا تقلق يا أخى، إنى أرعى ياسمينا جيدا، فلا تلقِ لذلك بالا، وبعد عام ستخرج وتربيها أنت».

فتدمع عينى أوس قائلا :

«وأين هى الآن؟»

– «فى البيت مع والدتك».

انهمر والد أوس فوق داليا بضربها فقد أودت لطمات والدها المتكررة على صدرها ورأسها بحياتها وانسال الدم من فمها معلنا خروج روحها الطاهرة.

أمّا عمر فأخذ يحتضن ياسمينا جيدا وأمسك بيديها وهربا من البيت ولكن يوسف أوقفهما وأعادهما من جديد. ليجدا أوس ينسال الدم من رأسه.

(١٢ ديسمبر ٢٠٠٣)

«حبيبتى.»

قالها يوسف لسلمى التى قد فتحت باب بيته فجأة.

ثم نظر إلى عينيها محدقا وقال :

«قد أتيت مبكرا اليوم على غير عادتك»

فتبسمت فى خفية تنظر بوجهها إلى أسفل ثم نظرت له نظرة خبث وقالت:

«أوس، أريد رأس أوس، كى أستطيع آخذ ابنتى ياسمينا منه بعد أن سكب فى رأسها كلاما بغَّضها فىَّ».

(٢ مارس، ٢٠٠٦)

«عمى عمر، أين أنت؟»

قالتها ياسمينا بشيء من البراءة الظاهرة على وجهها، بيضاء تسر الناظرين فى الثالثة عشرة من عمرها، أسود شعرها يتمايل كلما سارت بقدميها على الأرض، كثيف كأنه يتمايل خجلا من الأغراب الآخرين، مترائى ثغرها يبين ابتسامتها السنية التى يتزين وجهها برسمها عليه.

«هنا يا حبيبتى».

قالها عمر حينما ذهب إليها محتضنها بشدة ثم أعرب قائلا :

«ما بك يا حبيبتى؟!»

- «كنت أود أن أسأل عن شئ كامن فى ذهنى منذ أن قرأنا مذكرات أبى عنه، الحق أنها أشياء عديدة، أمي، لما قد أسمانى هند، ثم جعلنى حبيبة له أكمل معه خياله».

نظر لها عمر بعينين باكيتين متأملا ما قالت لنضج عقلها الباكر فكيف لمن هو فى سنها يستطيع بسذاجة عقله أن يتدبر تلك الأشياء المنطوية داخل قلب أبيها إنها حقا لحيرة، ثم انتبه إليها وقال:

- «أستطيع الإجابة عما يخصك فقط، جعلكِ حبيبته لأنه ما عشق أحدا وتيقن من هذا العشق إلا فى عشقه لك يا حبيبتى فأراد أن يستمد خياله من نقائك وصفاءك، أعرف ان استيعابك لهذا الكلام لن يتم الآن ولكنى أريدك أن تتذكريه جيدا واعلمى جيدا أنه كان يحبك من صميم قلبه، ولكن هذا الحب قد دفن معه فى قبره».

(٢٠ ديسمبر ٢٠١٦)

«أبي، أين أنت»؟

قالتها ياسمينا حينما دخلت إلى غرفتها تنظر أباها الذى كان واقفا يبحث عن شىء فى مكتبته.

فنظر لها متبسما ثم قال:

« ماذا، يا حبيبتى؟!»

«لكى تعلم أن ابنتك قد حافظت على سلالتنا الأدبية فلك أن تقرأ تلك الرواية التى قد ألفتها، وأسميتها» «قبل أن ينتهى ديسمبر»، ثم أخذته من يديه وجلست فى عناق له على الأريكة وقالت له بحماس لامع فى عينيها :

«كتبت فيها الحقيقة يا أبي، كتبت بها كل شيء ولكن لك أن تقرأها وحدك كى لا تتفاجأ بالكثير، أحبك يا أبى».

فاحتضنها أكثر ثم أخذ يصفف شعره بيديه لأنه قد نسى أن يجلب معه مشطا من الجنة.

تمت بحمد الله

إمضاء

ياسمينا أوس محمد

كلمة المؤلف

أولا :

النهاية دائما تكمن فى اللانهاية، لأن الحياة لا تقف عند آخر سطر يخطه الكاتب فى عمله الأدبى، ولكنه الكاتب الذى أراد أن ينهى تلك الرواية بالصورة المنتجة للجمهور والمرضية لنفسه.

قد تكون الفترة المذكورة هى التى بها عظة وعبرة فكان من المراد تقديمها بهذا الشكل، وقد تكون محتوية على رؤية المؤلف، وقد تكون غير ذلك كله، فتكون عبثا يقدمه لشيء آخر غير الأدب، أتوجه إلى فئة معينة من القراء إلى الارتقاء فى القراءة كى يكون هذا المجال الأدبى لائقا بمن فيه، ونستظل بظل الكتبة الكبار فى هذا المجال، نريده متحررا من الهراء.

ثانيا :

- شكر خاص لكل من أحبطنى يوما وبث فى قلبى مشاعر بأننى لا أصلح أن أكون شيئا فى هذا العالم، وأود أن أخبرك بشيء غريب الآن أنك فى هذه اللحظة تقرأ عملى الأدبى.
- شكر خاص للظروف العصيبة التى قد عرقلت طريقى فى كتابة هذا الرواية، ولكنى لم أستسلم، وقاومت حتى أخرجتها فو أنكم تدركون مدى المشقة والتعب والمعاناة لعذرتمونى على كل لحظة قد شعرتم بها أن هذا العمل مريب، وهذا ناتج عن أننى كنت أود أن أخرج لكم شيئا يليق بكم كقراء مثقفين.

ثالثا :

العمل الأدبى ليس بحجمه ولا عدد صفحاته، ولكنه بمحتواه الفنى والأدبى، وبما يقدمه، فعلى سبيل المثال رواية الغريب للكاتب الفرنسى البير كامو الذى قد نال جائزة نوبل فى الأدب لا تتعدى الـ ١٥٠ صفحة كمجمل، وهذا أكبر دليل على هذا، فما هو أمامكم الآن ما يسمى بالرواية القصيرة، وكان تعمدا منى أن أؤلف ما يدعى بهذا المسمى لتغيير الفكر الراسخ عند الكثيرين.

دمتم ملهمينا، دمتم قراء جيدين.